ملامح العلاقات السياسية بين المماليك والعربان في الصعيد وأثرها على المجتمع المصري في النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي

إعداد

الباحث/ مصطفى محمد عبد المنصر

باحث ماجستير في الآداب تخصص/ تاريخ حديث ومعاصر

كلية الآداب- جامعة أسيوط

تاريخ الاستلام : ٦/ ٩/ ٢٠٢٢م

تاريخ القبول : ١٦/ ٩/ ٢٠٢٢م

ملخص:

١- استطاعت القبائل العربية بالصعيد خاصة قبيلة الهواره تسطير تاريخ الصعيد من خلال موقفهم من الصراعات المملوكية ودورهم فيها حيث كان الصعيد هي الملاذ الوحيد للمماليك الفارين من منافسيهم في القاهرة والمعاون الرئيسي لهم في استعادة مكانتهم ضد منافسهم.

٢- تأثر المجتمع بالعلاقات بين المماليك والعربان في وقت السلم كثيرًا من ناحية الاهتمام بأعمالهم وزياده الدخل وشراء الأراضي والعقارات وإقامة علاقات طيبة مع المماليك والعربان تصل إلى حد المصاهرة.

٣- تأثر المجتمع بالعلاقات أيام الحرب والصراعات بشكل كبير حيث كان بعض أفراد المجتمع مثل الفلاحين والتجار الحرفيين والأقباط واليهود والشوام والمغاربة مجالًا لنهب المماليك فقد فرض المماليك عليهم الكثير من الضرائب والفرد والمغارم والمظالم الإتاوات والسلف والقروض من أجل توفير الأموال اللآزمة لتجهيز التجاريد العسكرية المرسلة إلى الصعيد لتعقب المماليك الهاربين أو لمحاربة العربان.

٤- لقد شهد الصعيد تلاحم بين المماليك والعربان وجميع طوائف الشعب والمسلمين من الحجاز دون تفرقة عنصرية لمواجهه الحملة الفرنسية ووقوف الدولة العثمانية في ثبات عميق دون تدخل سوى بإرسال منشورات التي تشجع على المقاومة ضد الكفره باسم السلطان أي جهود معنوية وليست مادية تساعد المجاهدين في الوقوف أمام الفرنسيين المسلحين بأحدث الأسلحة في أوروبا آنذاك.

Abstract:

1- Arab tribes have been able to escape the right of his argument, the debate of the level of the level through their positions from the mutilated conflicts and their role where the level is the only one-owned maternal of their competitors in Cairo and the main cooperation in their registered residents.

2- The community affected the relations between the Mammalik and the Arabs at the time of peace to much of the attention of their attention to their income and increase in the land and buying land and real estate and establishing his relations with the Malmik and the Arabs.

3- The community affected the relations of war and conflicts in large, where some members of society such as the peasants, craftsmen, citizens, citizens, jewels and the two groups are therefore attracted by the complexity of the Mammak. The Mammaps imposed a lot of taxes, individuals, mandate and gambling, reassyrs and loans to provide the necessary money for the processing of military officials to the track of the fighting or its warpings.

4- The level of the two hunger and the Arabs and the Muslims of the people and Muslims from the Hegaz were seen without the interpretation of his race for his French pregnancy and the Ottoman states in deep stability without intervene only to send publications that encourage the resistance against the Kurdish on behalf of the Sultan with any of his mortality efforts and not physically helping the Mujahideen in the stand in front of the armed fames in Europe in the coming period.

نتحدث هنا عن عدة نقاط هامة حتى نتوصل إلى المستخلص من الدراسة:

١- موقف عربان الصعيد من الصراعات المملوكية.

٢- أثر العلاقات بين المماليك والعربان في وقت السلم على عناصر المجتمع.

٣- أثر العلاقات بين المماليك والعربان في وقت الحرب على عناصر المجتمع.

٤- التلاحم بين المماليك والعربان في الصعيد للتصدي للحملة الفرنسية وأثر ذلك على المجتمع.

في الواقع نتحدث هنا عن العلاقات بين فئتين من فئات المجتمع المصري، ولكن أحدهما يتبع الطبقه الحاكمة ألا وهي طبقة البكوات المماليك والآخرى تتبع طبقة المحكومين إلا وهي فئة العروبان أي العلاقة بين الحاكم والمحكوم ولكن ما هي العلاقة التي تربط بين هذين الفئتين؟ هي علاقة القوة، فلا شك ان الفئة المحكومة (العربان) قد شكلوا في تلك الفتره الخاصة بالدراسة قوة لا يستهان بها التي دفعت العديد من الأمراء المماليك إلى التقرب منهم وإقامة علاقات طيبة معهم لاستعانة بهم في صراعاتهم المملوكية على المناصب العليا بالدولة على عكس أن كانت هذه الفئة ضعيفة فلا يمكن الاستفادة منهم ومن ثم لابد أن نوضح شكل العلاقات وأثر هذه العلاقات في وقت السلم والحرب على عناصر المجتمع المصري.

أولًا: موقف عربان الصعيد من الصراعات المملوكية:

لا شك أن قبيلة الهوارة كانت من أقوى القبائل العربية المتواجده في الصعيد وهي القبيلة التي تولى زعامتها الهمامية بزعامة شيخ العرب همام بن يوسف ثم أولاده وأحفاده ولم يكن هناك أسرة منافسة لهم سواء أسرة حسن الإخميمي التي كانت من أقوى

الأسر العربية التي نافست الهواره في الصعيد ولكن كانت نهايتها على يد الشيخ همام الذي استولى على أراضيهم ومن ثم اختفى وجودهم من دفاتر الالتزام الخاصة بولاية جرجا تمامًا سنة ١١٧٤ هـ /١٧٦٠م وكان آخر رجالها هو الأمير عيسى كمال الإخميمي.[١]

ومن ثم كانت الهوارة بزعامة شيخ العرب همام هي القوة المسيطرة على الصعيد بحكم مكانتهم وسيطرة همام على الأراضي من المنيا إلى أسوان بحكم الالتزام[٢] هذا إلى جنب العلاقات الطيبة التي كانت تربط الشيخ همام بالدولة العثمانية فكان يمدها بحوالي ١٥٠ ألف أردب سنويًا من الحبوب وكان يطلب منها ما يريده مباشره[٣]، مما أثار ذلك غيرة بكوات القاهرة هذا إلى جانب امتلاك همام جيش قوي يتشكل من مجموعة من العربان والمماليك الفارين سواء القاسمية أو جماعه الفلاح أو الخشاب أو الجلافية أو مناو أو سكرية وغيرهم ومن ثم تهافت الأمراء المماليك على التواصل مع الشيخ همام والتقرب منهم من أجل الاستعانة به عند الحاجة لذلك لعب همام دورًا هامًا في تحريك الصراع بين البكوات المماليك وهو في الصعيد.

وقد ظهر ذلك واضحًا عندما تحرش الشيخ همام بالأراضي التابعة للأمير إبراهيم جاويش في قنا من ولاية جرجا معقل الشيخ همام وأخذ همام قرض من جاويش مقابل ناحية برديس ولكن لم يسدد همام القرض ولم يفرط في برديس واستعان في ذلك بصديقه الأمير عثمان بك الفقاري أحد منافسين إبراهيم جاويش في القاهرة حيث قام عثمان بك بإقناع الباشا بعدم إعطاء جاويش فرمان بأحقيته في ناحية برديس.[٤] ونجح همام في ضم معظم الأراضي التابعة للأمير إبراهيم جاويش إلى حيازته في نهاية الأمر.[٥]

ولعل ذلك قد ترك أثر سيء في نفس الأمير علي بك الكبير الذي كان من المماليك إبراهيم جاويش، ومن ثم كان علي بك الكبير يتحين الفرصة المناسبة للقضاء على نفوذ همام في الصعيد، فعندما تمكن علي بك من السيطرة على منصب شيخ البلد بمعاونة حلفائه الذي كان من بينهم صالح بك القاسمي، فقام علي بك حتى يتخلص من أعوانه حتى يتخلص من منافسيه على السلطة فهرب صالح بك القاسمي إلى الصعيد لطلب المساعدة من الشيخ همام الذي قدم له المساعدة من ذخائر ومؤن وعتاد ورجال لصد الحملة التي ارسلها علي بك للصعيد بقيادة حسين بك كشكش، ونجح همام بفضل علاقاته بكشكش بإقناعه بسوء نوايا علي بك وضرورة العودة إلى القاهرة مما زاد ذلك من سخط علي بك على همام وكشكش فحاول التخلص من كشكش ولكنه فشل وفر إلى الشام ثم عاد مرة آخرى واستقر بأسيوط.(٦)

ومن هنا يتضح أن الشيخ همام كان عنصرًا فعالًا في تحريك الصراعات بين المماليك بل وتغيير مجرى الأحداث ومن ثم أدرك علي بك الكبير ضرورة التحالف مع همام والصلح مع صالح بك القاسمي لاستعادة نفوذه وسلطته على البلاد ولذلك عرض علي بك الكبير على همام اتفاق يتضمن مساعدة همام وصالح بك له للعودة إلى حكم البلاد مقابل تثبيت حكم همام على الصعيد وجعل جرجا تحت حكم صالح بك مدى الحياه (٧) وعلى أثر هذا التحالف تمكن علي بك من التخلص من منافسيه بالقاهرة والعوده إلى الحكم والتقرب من الوالي العثماني وإظهار الطاعة والولاء وكسب ود السلطان وإرسال الخزينة إلى إسطنبول (٨) وكذلك نجح في التخلص من صالح بك القاسمي الذي ساعده للوصول إلى الحكم وقتله بالقرب من بولاق سنة ١٧٦٨م(٩) وبذلك قضى على منافسيه في القاهرة ولم يبقى أمامه سوى شيخ العرب همام.

ومن ثم قام علي بك بالقضاء أولًا على عربان الوجه البحري بالتخلص من نفوذ سويلم بن حبيب زعيم عربان الحبايبة عن طريق إرسال تجريد عسكرية بقيادة مملوكة إسماعيل بك الذي قتل سويلم وعلق رأسه بالرميلة ثلاثة أيام (١٠) ثم سعى علي بك في القضاء على همام وبدأ التحرش به عندما طالبه بتسليم المماليك الفارين إلى الصعيد ورفض همام فاضطر علي بك خوض معركة كبيرة مع همام بالقرب من أسيوط وأرسل إليه جيش مكون من ثلاث حملات عسكرية واحدة بقيادة إبراهيم بك وخليل بك القاسمي والثانية بقيادة أيوب بك والثالثة بقيادة قائده المظفر محمد بك أبو الذهب ورضوان بك وحاول همام استمالة أبو الذهب إلى جانبه وقدم له عرض بإعطائه ناحيه برديس كهدية لمولوده الجديد مقابل إقناع علي بك بالتخلي عن فكرة التخلص من همام ولكنه فشل في ذلك ونجح أبو الذهب في نهاية الأمر من التخلص من همام وهزيمته باستخدام سلاح العصر وهو الدهاء والمكر بإقناع إسماعيل بن همام بحصوله على حكم الصعيد بدلًا من همام مقابل تخليه عن مساعدة همام ومن ثم مات همام مكمودًا مقهورًا على خيانه أهله وعشيرته له واستولى علي بك على أملاك همام ووزعها على مماليكه الذين ساعدوه في التخلص من همام والوصول إلى الحكم وترك لأبناء همام أراضي محدود لهم في قنا.(١١)

وعلى أية حال فقد بدأ نجم الهمامية في الأفول منذ وفاة همام فلم يكن لهم دور مؤثرًا في العلاقات بينهم وبين المماليك وفي الصراعات المملوكية كما كان في عهد همام، وكان أحفاد الهمامية بمثابة العوبة في أيد الأمراء المماليك ولم يكن الصعيد إلا مخبأ للمماليك ومنفذ للحصول منه على المؤن والأموال من الأهالي عن طريق فرض الضرائب والإتاوات خاصة في عهد إبراهيم بك ومراد بك.(١٢)

وفي ضوء ذلك يمكن القول أن العربان في الصعيد خاصة في عهد شيخ العرب همام استطاعوا أن يسطروا تاريخ الصعيد من خلال موقفهم من هذه الصراعات

المملوكية حيث كانت الهوارة هي الملاذ الوحيد للمماليك الفارين من منافسهم بالقاهرة والمعاون الرئيسي لهم في استعادة مكانتهم ضد منافسيهم ولذلك يرى الباحث أن علي بك الكبير قد أخطأ في التخلص من همام في ذلك الوقت لأنه لم يكن يشكل خطورة كبيرة عليه خاصة بعد تصالحهم وربما لو تركه لكان همام بمثابة درع الأمان له في الصعيد نظرًا لثراء همام وسمعته الطيبة.

ثانياً: أثر العلاقات بين المماليك والعربان وقت السلم على عناصر المجتمع:

لا شك أن حالة الاستقرار والأمن في البلاد قد تعود بالنفع الكبير على أفراد المجتمع بخلاف اوقات الفوضى والاضطرابات والحروب ومن ثم نجد الكثير من فئات المجتمع تمارس أعمالها وتصل فيها إلى درجة كبيرة من البراعة على سبيل المثال في إسنا في الصعيد نجد الأقباط قد امتلكوا العديد من الأراضي والعقارات والمعاصر الخاصه بعصر الزيوت القائمة على بذور الخس والقرطوم والسمسم وحاز العديد منهم على المحاجر والمطاحن والمعاصر في الصعيد مثل طاحونة شنوده داوود الجرجاوي ومعصرة متاووس واخيه ميخائيل ابن الذمي حنا بركات وهي معصرة كاملة العدة بلغت مساحتها نحو ثمان قراريط خيرات بأسنا [١٣] كما امتلك الأقباط على العديد من دكاكين الصاغة تلك الحرفة التي برعوا فيها خاصة في إسنا مثل دكان حنا الصايغ شرق إسنا [١٤] ودكان الذمية هيلانه ابنه مينا الصايغ بدرب القصريين بإسنا الذي ورثته عن أبيها [١٥] وسجلت الوثائق العديد من الأسماء الذين مارسوا هذه الحرفة مثل رزيق الصايغ وحسن الصايغ ومينا الصايغ وغيرهم [١٦] ولقد تجلت براعة الأقباط في هذه الحرفة فيما نراه من المشغولات الذهبية من خلاخيل وأقراط وحجول وسلاسل وأساور وغيرها من المشغولات الذهبية التي برع فيها الاقباط في مصر قاطبة وخاصة الصعيد وذلك كله كان في أوقات السلام والاستقرار.

كما سيطر الأقباط على الشؤون المالية نظرًا لخبراتهم في الأعمال الحسابية وعملوا في خدمة الملتزمين بالقرى وفي خدمة الأمراء المماليك وقادة الأوجاقات وكان من أشهرهم المعلم رزق وزير المالية لعلي بك الكبير[١٧] والمعلم بولس الذي عمل في خدمة شيخ العرب همام وكان وكيلاً عنه في عمليات إسقاطات الأراضي[١٨] وكذلك الحال بالنسبة لليهود فقد امتلكوا رؤوس أموال ضخمة وعملوا في الشؤون المالية والجمارك ولكنهم تعرضوا للانتهاكات من جانب علي بك الكبير الذي أبعدهم عن الجمارك وأحل محلهم المسحيين السوريين.[١٩]

ومما تجدر الإشارة إليه أيضًا أن الفلاحين في الصعيد في وقت السلم بين المماليك والعربان قد مارسوا مهنتهم بكل حرية وكان الفلاح محل اهتمام الشيخ العرب همام حيث قدم له كل ما يحتاج إليه من التسهيلات للزراعة وقد وصل الأمر إلى دفع الضرائب المقررة على الفلاحين الذين يعجزون عن دفعها وتقسيطها على فترات متباعده لذلك نشطت الزراعة في عهد الهمامية خاصة في عهد همام الذي كان المصدر الأول للحبوب للقاهرة والدولة العثمانية ولعل ولذلك يعد سلاح في يد همام كان يستغله في الفترات التي كانت يحدث فيها صراع مع المماليك فكان يمتنع عن إرسال الغلال للقاهرة والأموال المقررة عليه كنوع من الضغط على المنافسين كما حدث عندما أرسل علي بك الكبير حمل للقضاء عليه بقيادة حسين بالكشكش.[٢٠]

ثالثاً: أثر العلاقات بين المماليك والعربان وقت الحرب على عناصر المجتمع:

أما عن أثر العلاقات وقت الاضطرابات والصراعات على عناصر المجتمع نجدها تختلف من فئه إلى أخرى حيث نجد فئة العلماء والمشايخ والقضاه أقل تاثرًا من فئات الفلاحين والأقباط واليهود والتجار والحرفيين نظرًا لكونهم رجال العلم والدين ومكانتهم الرفيعة التي حظوا بها عند الحكام خاصة في أواخر القرن الثامن عشر الذي يعد العصر الذهبي للمشايخ والعلماء نظرًا للارتباط سياسيين وتجاريين بالمماليك وكأنهم

حلقه الوصل بين الحكام والشعب فهم الفئة الوحيدة القادرة على كبح جماع الشعب وجعله ينصاع لأوامر الحكام ومن ثم استغل الأمراء المماليك علاقتهم بالعلماء والمشايخ في تحقيقهم أغراضهم وفي الصلح بين الأمراء المماليك ومندوبين الباب العالي مثلما حدث في عهد مراد بك وإبراهيم بك الذين لجأوا إلى الشيخ أحمد العروسي ومحمد الحديدي محمد الأمير للصلح بينهم وبين حسن باشا القبطان.[٢١]

ولكن لم يكن معظم المشايخ والعلماء موالين للمماليك بل كان هناك من يقف أمامهم بالمرصاد ولا يرضى عن أفعالهم مثل الشيخ نجم الدين بن صالح الدمرداش الذي تولى نيابة القضاة في مصر وهو الذي أوعز لحسن باشا القبطان بضرورة القدوم إلى مصر لتخليص الأهالي من ظلم مراد وإبراهيم بك ومن ثم كان العلماء والمشايخ محور اهتمام الأمراء المماليك الذين أغدقوا عليهم المنح والعطايا والهدايا مما نتج عن ذلك اندماجهم مع الأمراء والمماليك ومشاركتهم في تجارتهم وأعمالهم بل وصل الأمر إلى حد المصاهرة بينهم وأصبح العلماء شركاء المماليك في قيادة الشعب مقومين لهم ومدافعين عن حقوق الشعب وكذلك الحال بالنسبة للمغاربة فقد عانوا قليلًا من ظلم المماليك مثل المشايخ والعلماء لأنهم كانوا قوة متماسكة وأكثر صلابة في مواجهة الأزمات التي تثيرها رجال الحكم وجشع المماليك[٢٢]، ومن ثم اعتمد عليهم المماليك في كثير من الأحيان في صراعاتهم المملوكية كقوة عسكرية لها وزنها وكذلك في الدفاع عن قوافل الحجاج التي تعرضت للسلب والنهب من جانب عربان البدو.

أما عن باقي الفئات الأخرى من المجتمع قد تعرضت إلى أقصى درجات الظلم والقهر من جانب المماليك في ظل صراعاتهم مع بعضهم أو مع العربان فمن الطبيعي أن حاجة المماليك للأموال من أجل الصرف على التجريد العسكرية المرسله إلى الصعيد لتعقب المماليك الفارين أو لمحاربة العربان دفعت المماليك لاستخدام وسائل

غير سلمية وابتزازية تجاه هذه الفئات من أجل توفير المال ومن ثم عان التجار والحرفين والفلاحين واليهود والشوام والأقباط من ظلم المماليك فقد تم الزج بالشوام في السجون من أجل شراء حريتهم بالمال كنوع من أنواع الابتزاز من جانب المماليك تجاه الشوام، كما فرض المماليك على الفلاحين الضرائب والفرد والكلف والمغارم وغيرها من الضرائب الأخرى الرسمية والغير رسمية التي أثقلت كاهل الفلاحين إلى جانب الأمراض والكوارث الطبيعية التي فتكت بالفلاحين نتيجه لقلة الرعاية الصحية.(٢٣)

ولقد ارتبط فرض هذه الضرائب بالصراعات العسكرية بين المماليك وأنفسهم أو المماليك والعربان ولا شك ان فئه الفلاحين هم أكثر الفئات تاثرًا بالصراعات المملوكية والصراعات مع العربان نظرًا لأنها الفئة المنتجة في مصر كما كان الريف ميدان هذه الصراعات في أغلب الاحيان خاصة في عهد إبراهيم بك الذين أرغموا الفلاحين على دفع الأموال والمغارب غصبًا خاصة أيام الصراع على السلطة كما أجبر الفلاحين على العمل بالصخرة في بناء الجسور وتطهير الترع التي لحق بها الخراب نتيجة لإهمال الكشاف والبكوات في أداء مهامهم وانشغالهم بالصراعات ولقد نتج عن ذلك هجرة الفلاحين لقراهم وأراضيهم حتى صارت بعض القرى خاوية على عروشها وبالتالي تأثر الملتزمين بهجرة هؤلاء الفلاحين للأراضي التي أصابها البور ومن ثم خسروا حصص التزاماتهم.(٢٤)

كما تعرض التجار لظلم وتعسف المماليك أثناء الصراعات لجمع الأموال لتجهيز التجاريد فقد فرضوا عليهم أموال الحمايات والإتاوات وأخذوا منهم القروض والسلف ولم يبالي الأمراء المماليك أمرًا في دفعها للتجار مما دفع بعضهم إلى رفع أسعار بضائعهم لتعويض هذه الخسائر المالية من جانب المماليك ومن ثم اتجه التجار إلى ميدان الالتزام الأراضي الزراعية لتوفير الأموال المطلوبة للصرف على التجار

وكذلك الحال بالنسبة للحرفيين لم يسلموا من تعسف وظلم المماليك حتى صار أمر انتهاك حقوق هؤلاء الحرفيين شيئًا عاديًا لدى الإدارة الحاكمة [٢٥] مما دفع الكثير منهم الدخول في أوجاق الإنكشارية لحمايتهم مقابل ١٠ % من نسبة أرباحهم كما وصل الأمر إلى بيع الإنكشارية والمماليك مرتباتهم وجامكياتهم للحرفين كنوع من أنواع الابتزاز المالي. والجدير بالذكر أيضًا أن فئة الأقباط واليهود كانوا في خدمة المماليك والعربان طيلة العصر العثماني وكانت حالتهم أحسن حال عن غيرهم باستثناء فترة مجيء حسن باشا القبطان الذي أمرهم بشد الزنار على أوسطهم كما لم يسلم الأقباط من ظلم المماليك بكثرة طلبهم للسلف والقروض منهم من أجل تجهيز التجاريد في تلك الفترة.[٢٦]

رابعًا: التلاحم بين المماليك والعربان في الصعيد للتصدي للحملة الفرنسية وأثر ذلك على المجتمع.

في الواقع إن المماليك والعربان هم من حملوا عبء الدفاع عن مصر منذ ان وطئت أقدام الفرنسيين الأراضي المصرية على الرغم من تبعية مصر للدولة العثمانية التي كانت منشغلة بحروبها مع الروس، ومن ثم قاوم المماليك والعربان الحملة الفرنسية منذ نزولها ثغر رشيد سنه ١٧٩٨م وانضموا إلى أهالى الأسكندرية، كما اجتمع المماليك والعربان ضد الفرنسيين وواجهوهم في أبي قير وعندما اقترب الفرنسيين من القاهره انضم العربان إلى قوات مراد بك وإبراهيم بك للتصدي الفرنسيين[٢٧] قدموا لهم المؤمن وكانوا يقومون بحمل المكتبات السرية بين المماليك وأنصارهم في القاهرة وقد حاول الفرنسيين استمالة العربان بجانبهم عن طريق الأموال وشراء الخيول والجمال منهم للاستفادة منها في نقل الأسلحة والمتاع ولكن رفض العربان التعامل معهم ومن ثم اقترح قائد الجيش الفرنسي في مصر بتخصيص سلاح الهجانة لمقاومة العربان

الذين يهددون أمنهم، فقام بونابرت بعقد العزم والعودة من الشام لتاديب العربان وقتل عدد كبير من مشايخ العربان بحجة أنهم وجدوا معهم منشورات ومكتبات تحرض على قتل الفرنسيين واستمر العربان في مقاومة الفرنسيين طيلة وقت الحملة بمعاونة المماليك على الرغم من توقيع عبد الله جاك مين العديد من معاهدات الصلح مع عدد كبير من قبائل إلى العرب.(٢٨)

وعلى أية حال فقد شهد الصعيد العديد من المعارك التي تضافر فيها المماليك والعربان ضد الفرنسيين فعندما علم مراد بك بقدوم القائد ديزيه اليه في الصعيد ووصوله إلى جرجا (٢٩) أرسل مراد بك الرسل لطلب المساعدة من أهالى جرجا والنوبه كما أرسل إلى حسن بك الجداوي وعثمان بك حسن في إسنا يعرض عليهم الصلح من أجل مقاومه الفرنسيين كما استنجد باشراف مكة ورؤساء عرب ينبع وجدة وبلاد الحجاز ودعاهم بعبور البحر الاحمر بقواتهم للدفاع عن دين محمد ضد اعدائه الكافرين (٣٠) كما كان العربان يأتون إليه بالأخبار من عند ابراهيم بك في بلاد الشام ولقد لبئ حسن بك الدعوة وانضم إلى قوت مراد بك بثلاث الآف مقاتل كما انضم الشريف حسن حاكم ينبع إليه (٣١) كما تجمع حوالى ألفين من الحجازيين في ينبع ينتظرون السفن لحملهم عبر البحر الاحمر إلى القصير لمساندة اخوانهم المصريين والمماليك والتقى الفرنسين والمماليك في سمهود وانتهت المعركة بانتصار الفرنسيين وفرا المماليك إلى أسوان.(٣٢)

ولقد تتبع الفرنسيين بقياده رينو القوات المملوكية بقيادة حسن بك الجداوي وعثمان بك حتى أسوان وحدثت معركة أسوان التي انتهت أيضًا بهزيمة المماليك واصابة حسن بك وعثمان بك بجروح مميتة من عيارين نارين وظل مراد بك معتصم بالخارجة بالقرب من أسيوط منتظر تحسن الأوضاع حتى يواصل هجومه على الفرنسيين من جديد(٣٣) ونجح مراد في ضم العديد من العربان في الفيوم والمنيا مثل

عرب الجميعة وباقولشي والجزية، قد حاول الفرنسيين استمالة هؤلاء العربان بجانبهم بالأموال ولكن دائمًا ما كان يتظاهرون العربان بمساعدة الفرنسيين ولكنهم كانوا مع المماليك مما دفع الفرنسيين إلى فرض الضرائب عليهم ولقد قرر الجنرال ديزيه ومساعدة بواييه القضاء على مراد بك والتقى الفريقان في صحراء سدمنت ١٩ اكتوبر ١٧٩٩م وانتهت المعركة بانتصار المماليك في البداية ثم الفرنسيين في النهاية وهروب المماليك والعربان إلى الصحاري.[٣٤]

وبذلك انتهت مقاومة المماليك والعربان في الصعيد والتي اثبتت مدى التلاحم بين الشعب المصري وتعدد اوجه المقاومة التي انهكت الفرنسيين سواء في الدلتا أو الصعيد وفشل الفرنسيين في ملاحقة مراد وقتله للتخلص من رأس المقاومة في الصعيد وكذلك التعاون بين المصريين والحجازيين والمماليك والعربان في مواجهة الحملة دون أي عنصرية كذلك كانت الدولة العثمانية في ثبات عميق من الحملة الفرنسية على مصر ولم تتحرك لتساند هذه القوات المقاومة إلا بالمنشورات التي تحس على ضرورة المقاومة باسم السلطان ضد الكفره أي جهود معنوية لم تقوى من ساعد المقاومة المادية التي تآكلت وتهالكت من كثرة الحروب ضد أحدث وأقوى نظم الحرب الأوروبية في ذلك الوقت.

الهوامش

(١) ليلى عبد اللطيف أحمد: الصعيد في عهد شيخ العرب همام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،١٩٨٧، ص ٥٣.

(٢) ليلى عبد اللطيف أحمد: المرجع السابق، ص ١٠٩.

(٣) هيلين ريفيلين: الاقتصاد والإدارة في مصر في مستهل القرن التاسع عشر، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨، ص ٤٦.

(٤) عبد الرحمن الجبرتي: عجائب الآثار في التراجم والأخبار،ج١، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٩، ص ٢٣٧.

(٥) أحمد كتخذا عزبان: الدره المصانة في أخبار الكنانة، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٨٩، ص ٢٣٠.

(٦) جلال يحيى: مصر الحديثة (١٥١٧-١٨٠١)، دار المعارف، الأسكندرية، ١٩٨٢، ص ٢٣٧-٢٣٨. انظر أيضًا دانيال كريسيلوس: جذور مصر الحديثة، ترجمة عبد الوهاب بكر، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٨٥، ص ١٠٩.

(٧) محمد رفعت رمضان: علي بك الكبير، دار العربي، القاهرة، ١٩٥٠، ص ٢٨. أنظر أيضًا ليلى عبد اللطيف: المرجع السابق، ص ١٣٩.

(٨) عراقي يوسف محمد: الوجود العثماني المملوكي في مصر في القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥، ص ١٤٣.

(٩) إسماعيل الخشاب: اخبار أهل القرن الثاني عشر «تاريخ المماليك في القاهرة»، تحقيق عبد العزيز جمال الدين، دار العربي، القاهرة،١٩٩٦، ص ٤٦.

(١٠) عبد الرحمن الجبرتي: المصدر السابق، ج ١، ص ٤٥٤.

(١١) ليلى عبد اللطيف أحمد: المرجع السابق، ص ١٤٤-١٤٥.

(١٢) ليلى عبد اللطيف أحمد: المرجع سابق، ص ١٤٥.

(١٣) دار الوثائق القومية: سجلات محكمة إسنا، س ٢٠، م ١٧، ص ١٢، ك ٠١١٦٩٠٠٢٠.

(١٤) دار الوثائق القومية: سجلات محكمة إسنا، س ٥، م ٥٩، ص ٢٩، ك ٠١١٦٩٠٠٥.

(١٥) دور الوثائق القومية: سجلات محكمة إسنا، س٢٣، م ١٤٥، ص ١٤، ك ٠١١٦٩٠٠٢٣

(١٦) دار الوثائق القومية: سجلات محكمه إسنا، س ١٩، م ١٣٣، ص ٨٨، ك ٠١١٦٩٠٠١٩. أانظر أيضًا س٤ م ٨٦، ص ٤٧، ك ٠١١٦٩٠٠٤

(١٧) نجيب توفيق: أم المماليك أعظم أمراة مصرية في القرن الثامن عشر الميلادي، دار العربي للبستاني، القاهرة، ١٩٩٠، ص ٤٨.

(١٨) ليلى عبد اللطيف أحمد: مرجع السابق، ص ١٣٠.

(١٩) عراقي يوسف محمد: المرجع السابق، ص ٣٧٥-٣٧٧.

(٢٠) ليلى عبد اللطيف أحمد: المرجع السابق، ص ١٣٧.

(٢١) عبد الجواد صابر إسماعيل: دور الأزهر السياسي في مصر إبان الحكم العثماني، مكتبة وهيبة، القاهرة، ١٩٩٦، ص ١١٧.

(22) Andre remond ; le cafe, de yamen et l'egypt,le caire,2006.p .475>

(٢٣) أحمد كتخدا عزبان: المصدر السابق، ج١، ص ٣٨. أنظر أيضًا عبد الرحمن الجبرتي: المصدر السابق، ج١، ص ٢٦-٣٠.

(٢٤) عبد الرحيم عبد الرحمن: الريف المصري في القرن الثامن عشر الميلادي، ط٢، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٦، ص ١٣٦.

(٢٥) صلاح أحمد هريدي: دور الصعيد في مصر العثمانية، دار المعارف، الأسكندرية، ١٩٨٤، ص ٢٧.

(26) afaf lutfey, Egyptian reigini Mohamed Ali - G- u- p, London,1984.p.5,6,7.)

(٢٧) أمين سامي: تقويم النيل وعصر محمد علي، ج٢، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٨، ص.

(٢٨) هيرولد: بونابرت في مصر: ترجمة فؤاد أندرواس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨، ص ٦.

[٢٩]هنري لورانس: الحملة الفرنسية في مصر وبونابرت والإسلام، ترجمة بشير السباعي، ط١، سيناء للنشر، ١٩٩٥، ص ٢٧٩.

[٣٠] نبيل السيد الطوخي: صعيد مصر في عهد الحملة الفرنسية (١٧٩٨-١٨٠١)، ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧، ص ١٦٠.

[٣١] زين العابدين شمس الدين: دور عرب الحجاز في مقاومة الحملة الفرنسية على مصر، ط١، دار الكتاب الجماعي، القاهرة، ١٩٩٨.

[٣٢] كمال الدين حسين عبد الرحيم: بونابرت والقصير والمعارك الرئيسية في جنوب الصعيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت، ص ١١.

[٣٣] دار الوثائق القومية: مختارات من وثائق الحملة الفرنسية، مجموعة رقم ٤، م٢٠، و ٩، محفظة رقم ١، بتاريخ ١٢اغسطس سنة ١٧٩٩، ص ٨٧-٩١.

[٣٤] نبيل السيد الطوخي: المرجع السابق، ص ٣٨٦.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: الوثائق الغير منشورة:

- سجلات محكمة إسنا، ٥١ سجل تغطي فترة القرن ١٨.
- محافظ قنا وإسنا، محفظة رقم (١).

ثانيًا: المصادر العربية:

١- أحمد كتخدا عزبان: الدرة المصانة في أخبار الكنانة، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة،١٩٨٩.

٢- عبد الرحمن الجبرتي: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ٤ أجزاء، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٩.

ثالثًا: القواميس:

١- محمد رمزي: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد القدماء المصريين إلى عام ١٩٤٥، القسم الأول والثاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤.

رابعًا: الرسائل العلمية:

- ايمان محمد عبد المنعم: دور العربان في المجتمع المصري في النصف الأول من القرن ١٩ م، رساله دكتوراه، جامعة القاهرة، ١٩٨٩.

خامساً: المراجع العربية:

١- أنور زقلمه: المماليك في مصر، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٥.

٢- أمين سامي: تقويم النيل وعصر محمد علي، ج٢، مطبعه دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٨.

٣- جلال يحيى: مصر الحديثة (١٥١٧-١٨٠١)، دار المعارف، الأسكندرية، ١٩٨٢.

٤- جب وبودن: المجتمع الإسلامي والغرب، ترجمة أحمد عبد الرحيم، مراجعة أحمد عزت عبد الكريم، دار المعارف، في القاهرة، ١٩٧١.

٥- صلاح أحمد هريدي: دور الصعيد في مصر العثمانية، دار المعارف، الأسكندرية، ١٩٨٤.

٦- زين العابدين شمس الدين: دور عرب الحجاز في مقاومة الحملة الفرنسية على مصر، ط١، دار الكتاب الجماعي، القاهرة، ١٩٩٨.

٧- عراقي يوسف محمد: الوجود العثماني المملوكي في مصر في القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥.

٨- عبد الرحيم عبد الرحمن: الريف المصري في القرن الثامن عشر الميلادي، ط٢، مكتبة مدبولي، القاهرة.

٩- ليلى عبد اللطيف أحمد: الصعيد في عهد شيخ العرب همام، الهيئه المصرية العامة للكتاب، القاهرة،١٩٨٧.

١٠- محمد رفعت رمضان: علي بك الكبير، دار العربي، القاهره، ١٩٥٠ .

١١- هيرولد: بونابرت في مصر: ترجمة فؤاد اندرواس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١.

سابعًا: المصادر والمراجع الأجنبية:

-Andre remond ; le cafe, de yamen et l'egypt,le caire,2006.

-afaf lutfey, Egyptian reigini Mohamed Ali - G- u- p , London,1984.